المحاضرة الأولى: نبذة عن الفكر الاجتماعي والسياسي في العصور القديمة:

هدف المحاضرة: التعرف على مفهوم الفكر، الاطلاع على نماذج من الفكر الاجتماعي والسياسي في العصور القديمة.

حث الإسلام الدين الحنفي السمح على ضرورة **التفكر** في كل شيء، وهذا ما ورد في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في العديد من آيات الذكر الحكيم، والتي منها نذكر: "**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**" الأعراف، الآية 176، "**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض**" آل عمران، الآية 191 ، "**إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**" الجاثية، الآية 13، "**وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**" الحشر،الآية 21، وفي مواضع كثيرة وعديدة للدلالة على أهمية التدبر والتفكر.

يبدو أن إرهاصات الفكر الاجتماعي والسياسي كانت لها جذور عميقة في التاريخ القديم، وارتبطت ارتباطا وثيقا بالحضارات القديمة، ومن هذه الأخيرة نجد حضارة المصريين، أي حضارة الفراعنة، وحضارة اليونانيين أي حضارة الإغريق، وربما أيضا حضارة الصينيين...، وقبل التطرق إلى نبذة عن الفكر الاجتماعي والسياسي في هذه الحضارات، لا بد من تعريف لمصطلح الفكر.

1-مفهوم الفكر: له عدة مفاهيم، والتي منها نذكر:

أ- **الفكر لغة:** من الفعل الثلاثي فكر، نظر وتروى، والفكرة الصورة الذهنية لأمر ما.

ب- **الفكر اصطلاحا:** إمعان النظر والتأمل في ماهية الأشياء، إعمال الخاطر في شيء، إشغال العقل في ماهية الأشياء المعنوية والمادية بغية الوصول إلى الحقيقة اليقينية. كما يعرفه آخرون بأنه "مجموعة من الآراء والنظريات والمبادئ التي توصل إليها عقل الإنسان في حقب زمنية معينة بغية التعامل مع الأحداث والوقائع التي تواجهه".

ويعرف الفكر أيضا بأنه "عبارة عن وظيفة عقلية تهدف إلى تحفيز الدماغ لفهم واستقراء البيئة المحيطة به، حتى يستطيع تغيير ما كان مجهولا عنده إلى معلوم ومعروف، وبهذا يستطيع التعامل مع الأحداث والوقائع".

كما يعرف الفكر أيضا بأنه "جهد بشري قد يصيب وقد يخطأ، وعلى هذا الأساس فهو لا يتصف بالقدسية، ولكنه يقترب من الصواب ويبتعد عن الخطأ إذا استند إلى عقل

صريح"...، وقبل أن نقدم نبذة عن المبادئ والآراء الاجتماعية والسياسية التي مثلت الفكر عند القدماء، لا بد من الإشارة إلى مفهومي الفكر الاجتماعي والفكر السياسي:

2-الفكر الاجتماعي: هو تلك الفعاليات والأنشطة والممارسات وأشكال التفكير التي عرفتها المجتمعات البشرية منذ نشأتها، والتي تنامت وتطورت بالتدريج، عبر المراحل الزمنية المتعاقبة، وشكلت في الأخير ما اصطلح على تسميته "**بعلم الاجتماع**".

3-الفكر السياسي: هو الذي يهتم بالأفكار والمفاهيم التي تبحث في الظواهر السياسية، ويحاول وصفها ودراستها وتحليلها، في سبيل تكوين مفهوم موحد عن ظاهرة سياسية ما، وعلاقتها بالمجتمع.

4-الفكر في الحضارة الفرعونية:

يحفل تاريخ مصر عموما وحضارة الفراعنة خصوصا بإسهامات فكرية اجتماعية وسياسية في العديد من الجوانب والنواحي مثل التحنيط، صناعة الحلي المتعددة والمتنوعة، صناعة الأواني الذهبية والفضية، تشخيص الكثير من الأمراض ومعالجتها، حفظ المعارف والمعلومات...، كما لا يخفى على أحد أن الفراعنة اتبعوا المناهج العلمية في العديد من إنجازاتهم وإسهاماتهم، وعلى سبيل الذكر لا الحصر نذكر المسوحات الاجتماعية الشاملة، ملء الاستمارات لجمع البيانات، البناءات الهندسية (الأهرامات)...، وهذا ما يخلده القرآن الكريم، حيث يقول المولى عز وجل " **وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد**" (سورة الفجر، الآية10-11)، ويظهر أن آل فرعون قد قطعوا أشواطا كبيرة في المنهج العلمي الذي تغنى به العديد من المفكرين، العلماء والمبدعين. ولا بد من الإشارة إلى أن المجتمع الفرعوني كان مقسما إلى طبقات؛ أي أنه مجتمع طبقي، كما يلي:

أ-الفرعون: في قمة الهرم الاجتماعي نجد الفرعون، وهو بمثابة رئيس دولة وإله في آن واحد؛ أي أنه جمع بين السلطتين الدنيوية والأخروية.

ب-طبقة الكهنة: لديهم قدسيتهم الخاصة نظير أعمالهم في المعبد، وتفانيهم في خدمة الفرعون باعتباره إلها.

ج-طبقة أفراد الجيش: وهم القائمون على الأمن وحراسة الأماكن المقدسة.

د-طبقة الحرفيين: من صناع ومهنيين وأصحاب الوظائف ، وكان النظام الفرعوني يرتكز على الأسس الدينية، وفيما يخص الجانب السياسي فالفراعنة كانوا يملكون وعيا سياسيا

وقوانينا خاصة تنظم العلاقات والأدوار فيما بينهم، مثل التنظيم الدستوري في عهد الأسرة الثالثة، حيث وحد الفرعون مينا قوانين الملكية، الإرث، الوصاية، الهبة والولاية... وغيرها، ويبدو أن الفكر الاجتماعي والسياسي لدى الفراعنة كان باكورة التفكير الإنساني لأنه يعكس بصدق مرحلة مهمة من مراحل النضج والوعي في تلك الفترة.

5-الفكر في الحضارة اليونانية:

عند الحديث عن حضارة الإغريق لا بد من الإشارة إلى أدوار بعض الفلاسفة والمفكرين وآرائهم ونظرياتهم التي ساهمت إسهاما كبيرا في الفكر الاجتماعي والسياسي في تلك الفترة، ومنهم نذكر:

أ-أفلاطون: (427-347ق.م)

خلف أفلاطون العديد من المؤلفات-ناهزت الأربعين تأليفا-، وهي في مجملها تعكس فكره الاجتماعي، ومنها **الجمهورية، القوانين، السياسة...**، ومن أهم ما تميز به أفلاطون في الجانب الفكري:

-أنه اعتبر تطور المجتمعات على ثلاث مراحل، وهي:(المرحلة الأولى وهي المرحلة **البدائية**، وهي عبارة عن تجمع رعوي قليل العدد يحكمه العرف والرئاسة فيه للأب، بينما المرحلة الثانية هي المرحلة **الزراعية** وفيها يتطور التجمع قليلا فيصير أكثر عددا ويكثر السكان ويكون الحكم أرستقراطيا مطلقا، في حين أن المرحلة الثالثة هي **المدنية** وفيها يتطور التجمع حتى يكتمل سياسيا.

-الإنسان والمجتمع عند أفلاطون:

يتكون الإنسان من عنصرين، مادي وهو الجسم، وإلهي وهو النفس، والنفس أهم من الجسم لخلودها، كما قسم أفلاطون النفس إلى عقل، روح، شهوة، وجعل السيطرة للعقل، وهذا الأخير هو الذي يوجه الروح، واعتبر النفس خيرة، إذ أن العقل يجب أن تكون سيطرته على الروح والشهوة معا.

وقسم أفلاطون المجتمع إلى ثلاث طبقات، وهي:

-طبقة الفلاسفة: وهم عبارة عن عقل المجتمع، وهم الطبقة العليا

-طبقة المحاربين: وهم عبارة عن قلب المجتمع، وهم الطبقة الوسطى

-طبقة التجار والزراع: وهم في طبقة سفلى، وهم بمثابة الشهوة التي تتجاذبها رغبات عديدة.

ب-**أرسطو: (384-322 ق.م)**

معلم الإنسانية على حد قول الغربيين، وهو تلميذ أفلاطون، ساهم في ميدان الفكر بمنهج مخالف لأستاذه، ومن أهم أفكاره نذكر:

-الإنسان مدني بطبعه، أي أنه لا يمكن أن يحي إلا في مجتمع.

-الأسرة بمثابة الخلية الطبيعية الاجتماعية الأولى للمجتمع.

-الأسرة مملكة صغيرة، يحكمها الأب وتنعم فيها المرأة بحق المشاركة والمساعدة.

بينما أشكال الحكومات عند أرسطو متعددة وهي:

-حكومة الفرد المعتمد على العقل والحكمة.

-حكومة استبدادية تنتج عن سوء استخدام العقل والحكمة.

-حكومة ارستقراطية وهي حكومة الأقلية الحاكمة.

-حكومة أوليغارشية وهي حكومة الأقلية القوية (الغنية المستبدة).

-حكومة الشعب وهي حكومة الأغلبية الفقيرة، قليلة الكفاءة، تظهر بها ثورة يتزعمها فرد.

6-الفكر في الحضارة الصينية:

كثرت التيارات الفكرية والاجتماعية في الصين منها الطاوية، القانونية، الموتستية، ولعل أهمها الكونفوشيوسية، ويعتبر الحكيم كونفوشيوس مؤسس أول مدرسة اجتماعية في الشرق القديم، ومن آرائه **تمجيد الإقطاع**، وكان يتخذه أساسا للبناء الاجتماعي، فالمجتمع عنده لا بد أن يكون طبقيا، ولا بد من صيانة حق الملكية، وكان الإمبراطور في قمة الهرم المجتمعي، ثم يليه الأحرار والنبلاء والأشراف، ثم يليهم العامة وغالبية الناس، ولقد كان للأباطرة مكانتهم الاجتماعية والسياسية في الفكر الصيني القديم،لأن العناية الإلهية فوضتهم بهذه المهمة حسب اعتقادهم.

وفي آراء كونفوشيوس النظام الاجتماعي الناجح هو النظام القائم على الأسس الدينية، والعلاقات الاجتماعية لا بد أن تستمد من الإله الأعظم، ولقد مجد كونفوشيوس التعليم وقال بأنه السبيل الوحيد إلى الفضيلة، وأنشأ في كل قرية يقطنها 25 ألف ساكن مدرسة، كما أنشأ جامعة في كل مقاطعة، ومن أهم أرائه في هذا الميدان وجوب التعرف على ميول الطلبة والتلاميذ من طرف القائمين على شؤون التعليم، حتى يسهل توجيههم واستغلالهم.